مقتطفات من كتاب
ما رواه البحر
ساندرا سراج



كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com



إلى البحر الذي لا يبوح بسر أحد لأحد

لك يا من لا تحب الوحدة.. فقط تكره الخذلان

وإلى كل الأشياء التي تراجعت عنها بعقلي

وما زال قلبي عالقًا بها ( )

فماذا يُمكن أن يُقال ليعوض شخصًا عما فقده، فعلى الرغم من التطور العلمي والطبي الذي شهده العالم لم يستطع عالم واحد بعدُ أن يجد ما يُمكن أن يُفعل أو يُقال ليجبر القلوب.

سألها:

- لماذا ينتهي الحب في رأيك؟

تنظر له قليلًا وتُجيب:

- حين تنتهي اللهفة!

اللهفة التي تصيبك حين يختفي شخصك المُفضل لساعات، فتبحث عنه كالغريق الذي يبحث عن الهواء، اللهفة التي تقفز لقلبك فجأة لتقتل ما تظنه أصبح روتينًا.. اللهفة في الفراق، اللهفة في اللقاء.. اللهفة هي طغيان المسافة.

- رائحتك تتحرش بحواسي بغيابك، فماذا تظنها فاعلةً بي في حضورك؟

ولكن كان من الصعب

حقًا تخمين لأي زمنٍ تنتمي، لأي حقبة زمنية.. تجد روحها من أربعينيات القرن الماضي، ملابسها مزيج من روحها وعصرنا، ملامحها لا تنتمي لبلدٍ، فلا تستطيع تخمين أصلها.. لكنتها البيضاء لا تُشير إلى رقعة، أفكارها لا تنتمي لمدرسة أدبية بعينها، فلا تستطيع تخمين كاتبها المُفضل، لا تستطيع تحديد ديانتها من معتقداتها، فلم تذكر نبيًّا بعينه، ولكنها ذكرت الله كثيرًا، لم تذكر الصلاة، ولكنها ذكرت العبادة، لم تذكر الرهبنة، ولكنها ذكرت الترفُّع عن الخطيئة، لم تذكر الدعاء، بل ذكرت الذهاب إلى الله بروح متصوِّفة زاهدة.

- وما هو وطنك؟ لأي رقعة تنتمين؟

- جواز سفري فقط أنتمي له.. لا يوجد وطن كافٍ لهذا القدر من الجنون والتمرد الذي أحمله بداخلي، فقسمته بالعدل على دول المشرق والمغرب، فأشفق للحقِّ على وطنٍ مُجبر أن يحمل على أرضه كُل ذلك التمرد؛ فقط لأنه في ساعةٍ وتاريخٍ قد سقطتُ من أمي عليه.

صدِّقني ما اكتشفته إن أخفيت شمعة العشق أحرقتك؛ فهي كما الشمس إما أن تُضيء عالمك بأكمله، وإما أن تهلكه، وتتركك رمادًا في ظلام حالكٍ، لن ينقذك من ظلمته سوى من أريتهم شمعتك.

لكن ها هي قد تركته، ولم يقتلها عشقها، ولم تقتله وحدته.. كم أن البشر سُذَّج حين يقعون في العشق يظنون أن الحياة ستتوقف، وأن الكرة الأرضية ستأخذ هدنة لحزنهم الساذج المؤقت، وسيتوقف العالم عن الحركة؛ لأن مفهوم العالم بالنسبة إليهم غاب.. لماذا لا أغرقهم وأرحمهم من خطاياهم ومن غبائهم؟!

- لا يبقى شيء بالقوة، إما أن يبقى من تلقاء نفسه، وإما أن يرحل رغم تشبُّثك به.. لا أحد يمتلك القوة الكافية لإبقاء الآخرين.

- كيف استطعتَ مقاومة الحنين؟

- لم أقاومه... واجهتُ حقيقة أنها أفضل حالا بدوني، لم أقاومه تركته يستنزفني، يقتلني.. تركته يفعل ما يُريد بروحي

- أنتِ حُرة مني، للأبد.. انجي بما تبقَّى من قلبك.. أنتِ تستحقين الأفضل تستحقين الحُب والأمان، لن أكون لعنتك

أعلم أنني لستُ أفضل الرجال، ولكنني سأحاول أن أكون أفضل نسخة مني من أجلك.



سيجعلك كبرياؤك المريض تموت وحدك

لم يكن يعلم أنه قد يُشعرها يومًا بأن رحيلها هو خلاصها منه، ومن داء حُبه الذي تجذر في روحها، حُبه المُسمَّم الذي يودي بكُل ما يمسه بداخلها.. كيف انتهى بهما الحال هكذا، كيف أهلكها إلى تلك الدرجة؟ ومتى استحوذ عليه كِبره الذي منعه حتى من البُكاء لها.. من استبقائها؟ هل تخطى توقه إليها؟ تخطى كُل شيء، ولكنه أبدًا لن يتخطى كيف أضاع ثقتها به، كيف أهلك سكينتها التي لم تتمنَّ سواها؟ حتى إنها لم تتمنَّه يومًا، ولكنه كان يُمكن أن يكون أداة لتحقيق السكينة التي كانت غايتها الوحيدة.. وجعلها وجودُه مُحالة التحقق.

تقول إن الشمس والقمر كانا حبيبين واقعين في غرام أحدهما الآخر، ولكن لم يستطيعا البقاء سويًّا؛ بسبب اختلاف توقيتهما، ولذلك خُلق الكسوف، كمُساندة من الأرض لهما، فتكسر غيابهما كُل حين وآخر، فيتعانقان.

سأنتظر أن تغفري لي، لن يكون انتظاري بلا جدوى.. فأي انتظار أنتِ بنهايته هو غاية.

عزيزتي، أنا أستطيع أن أغلبك بلمسة.. سأدمِّر كبريائك بنظرة، سأفجر أنوثتك بابتسامة.. فأنا رجلٌ يعلم جيدًا كيف يغلب امرأة، ولكنني للمرة الأولى لا أمانع الهزيمة.. فالهزيمة أمام عينيكِ انتصار.

الصمت هو لغة الألم، لغة من لا تساع الأبجدية وصف ندوبهم.

- الوصول إلى أخبارك لم يكن صعبًا أبدًا، أظن الأصعب هو رؤيتك مهزومًا يوم انتصارك.. ما الذي لم تستطع تخطي خسارته ويجعل كُل انتصاراتك مجموعةً من الهزائم؟



لو كنت أنا جنيًا.. وأقول لكِ إن هُنالك أمنية ستتحقق، ماذا ستتمنين؟

- السَّكِينة.

- فقط؟

-أتمزح! تخيل أنك تستيقظ صباحًا بلا همٍّ، تغسل وجهك دون أن تفكر ماذا لو أن كُل حياتك مُجرد كابوس سخيف، وستستيقظ منه تجدك في الرابعة من عُمرك تبكي فتضمُّك أمك وتمشط بيدها شعرك، وتنفض عن روحك أحزانك الوهمية.. تخيل أنك تحتسي فنجان قهوتك دون أن تصارع نفسك لتذهب لعملك أو لملاقاة أصدقائك، دون أن تهلك أوردة قلبك المسكين وأنت تتساءل:

لماذا؟

وماذا لو؟

لو أنك تنام دون أن تبكي.. السكينة هي أن تُدرك أن كُل ما يحدث هو ما من المُفترض أن يحدث، وأن تتقبله.

السكينة هي أعظم درجات الإيمان بالله وبالقدر خيره وشره، ولا يضاهيها راحة.

نعم، أريدك ولا أريدك.. أنا في منتصف الرغبة، في منتصف الحُب، تائهة بين الوجود والعدم.. قد فقدت الكثير، وكُلما تعلقت بشيء ثكلته.. لا أريد أن أسمح لك بأن تكون نقطة ضعف جديدة لي، ولا أن أسمح للقدر بأن يجعلك خنجري المُحبب الذي سيجد موضعه في ظهري ليخترق شغاف قلبي.. هذه أنانية المرتعب يا عاصي، لأعوام لم أشعر ما شعرت به بجوارك هُنا، لم أشعر بالسكينة التي شعرتها في حضرتك.. ولستُ مُستعدة لخسارة أيٍّ من ذلك.. أقسم ليس لديَّ القدرة على فقدانك ولا على المجازفة بِك، أن أرمي بك في هاوية النصيب، وأنتظر إما أن يجمع بيننا أو يفرقنا للأبد.. لن أعطيه فرصة أن يختار لنا مصيرنا.

- الليالي البيضاء لـ«دوستويفسكي».

- عم تتحدَّث؟

- ما زلتُ أقرأها، ولكنها عن رجل خجول للغاية يقابل فتاة تُدعى «ناستينكا» يقع في حُبها، ولكنه لا يعترف لها؛ إذ إنها تكون واقعةً بالفعل في حُب رجلٍ آخر، وإنه كان قد أعطاها وعدًا في بداية صداقتهما ألا يُحبها.. قالت له: «أنا أحبك؛ لأنك لم تقع في حُبي».

ليقطع حديثها:

- أأنتِ واقعة في عشق رجل بالفعل؟

تتفاجأ من سؤاله وترتبك لثوانٍ ثم تقول:

- الحُب يظهر على ملامحنا، تكون قلوبنا في أعيننا.. فإن لم تَرَه فلا.. لستُ واقعة في العشق.

- ماذا لو أنني فقط لم أكن بالفطنة الكافية لأراه؟

- صدِّقني، يستطيع الكفيف استشعار الحُب من نبرة الصوت، الحُب مثل الحمل.. الحُب أن تحمل بقلبك شخصًا، أما الحمل فتحمل بحشاك طفلًا.. الاثنان لا يتخبى وجودهما كثيرًا يظهر على جسدك وقلبك وروحك.. فأنت لم تعد تملك نفسك حين تُحب، يشاركك أحدهم روحك وقلبك وجسدك، حتى يشاركك عقلك، ويسكن أفكارك، ويسرق وقتك.. إن استطعت أن تخفي طفلًا تسعة أشهر لن تستطيع أن تخفي حُبًا تسع دقائق.. ستفضحك عيناك دومًا.

«كيف يُمكن أن تهرب من أحد تمكّن من جسدك، هل ستتركه له حين يخذلك؟ هل ستعطيه جلدك لحظة الفراق مثلما ستعطيه هداياه، هل ستعطيه بقايا فُتات قلبك أم رئتك المليئة برائحته..